

تفسير البغوي

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

قوله تعالى : (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) قال مجاهد سبب هذه الآية أنهم لما

انصرفوا عن القتال كان الرجل يقول : أنا قتلت فلانا ويقول الآخر مثله ، فنزلت الآية .

ومعناه : فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصره إياكم وتقويته لكم . وقيل : لكن

الله قتلهم بإمداد الملائكة . (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) قال أهل التفسير

والمغازي : ندب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس ، فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا ،

ووردت عليهم روايا قريش ، وفيهم أسلم ، غلام أسود لبني الحجاج ، وأبوي سار ، غلام

لبني العاص بن سعيد ، فأتوا بهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال لهما : أين

قريش؟ قالوا هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكثيب : العنقل - فقال

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهما : كم القوم؟ قالوا كثير ، قال : ما عدتهم؟ قالوا

لا ندري ، قال : كم ينحرون كل يوم؟ قالوا يومًا عشرة ويومًا تسعة ، قال رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - : " القوم ما بين التسعمائة إلى الألف " ثم قال لهما : فمن فيهم من
أشراف قريش؟ قالا عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختری ابن هشام ، وحكيم
بن حزام ، والحارث بن عامر ، وطعيمة بن عدي ، والنضر بن الحارث ، وأبو جهل بن
هشام ، وأمّية بن خلف ، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو . فقال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - : " هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها " فلما أقبلت قريش ورآها
رسول الله تصوب من العقنقل ، وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي ، قال لهم :
هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي
وعدتني ، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : خذ قبضة من تراب فارمهم بها ، فلما التقى
الجمعان تناول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كفا من حصى عليه تراب ، فرمى به
في وجوه القوم ، وقال : شأهت الوجوه ، فلم يبق منهم مشرك إلا دخل في عينيه وفمه
ومنخريه منها شيء ، فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم . وقال قتادة ، وابن زيد
: ذكر لنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى
بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم ، وقال : شأهت

الوجه ، فانهمزوا ، فذلك قوله تعالى : " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " ، إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفا من الحصا إلى وجه جيش فلا يبقى فيهم عين إلا ويصيبها منه شيء . وقيل : معنى الآية وما بلغت إذ رميت ولكن الله بلغ . وقيل : وما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصاء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا ، (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) أي : ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ، (إن الله سميع) لدعائكم ، (عليم) بنياتكم .